"ليو شياو دونج" (Liu Xiaodong)، يعلق على "جيه إم دابليو تيرنر" (J.M.W. Turner) و"ساي تيومبلي" (Cy Twombly)

أتفق مع الباحث الصيني "إيه تشينج" في آرائه حول تاريخ الألوان، فهو يقول: "لقد قام الإنسان دائماً على مدار العشرة آلاف سنة الماضية تقريباً – منذ عهد الرسومات على جدران الكهوف وحتى القرن السابع عشر – بالانتفاع بتاريخ "اللون الأصلي". ويأتي ذلك من المعادن الطبيعية، ومن خلاصة النبات، وهو لون غير مخلوط، لكنه يُرسم مباشرةً على قماش الرسم. وفي القرن السابع عشر، بدأ "يوهانز فيرمير" في مزج درجات الألوان لتصوير الأجسام كما تراها العين من خلال الضوء وتغيراتها في الطبيعة. وقد استمر هذا الاستخدام "لنظام الألوان المتدرجة" حتى نشوء مدرسة الانطباعية. ثم عاد الرسامون المعاصرون في القرن العشرين إلى نظام الألوان الأصلي، إلا أنه برغم فكرة أن فناني اليوم قد خاضوا جميعاً التدريب على نظام الألوان المتدرجة، فهناك فارق ملموس ما بين السعي الذي يجري حالياً وراء الألوان الأصلية وبين نظيره البدائي.

أرى أن التركيبة الأساسية لأعمال الفنانيّن "جيه إم دابليو تيرنر" و"سي تومبلي" (1928-2011) هي تركيبة دائرية؛ فهما يضمان بيئتهما. وكلاهما استخدم أيضاً الكثير من درجات الأحمر والأصفر. وقد استلهم "تيرنر" تشكيلة ألوانه من العالم الطبيعي، مثل الصباح الباكر، أو ضوء شمس المغيب الذي ينتمي إلى الألوان المتدرجة، أما ألوان "تومبلي" فهي مستمدة من احتياجات فؤاده؛ حيث تمثل تعبيراً مباشراً عن مشاعره الداخلية، والتي تشجعه على استخدام الألوان الأصلية.

تعجبني ألوان "تيرنر" لأنها تضم العديد من العناصر المجردة؛ فالبحر والسماء بنفس اللون، يملؤهما الأصفر وبعض النقاط القليلة من الأسود والأحمر المتناثرة هنا وهناك. أظن أن هذه العناصر ربما تكون قد أثرت على حركتين فنيتين سادتا القرن العشرين، ألا وهما المدرسة التعبيرية التجريدية والحركة التبسيطية (المينماليزم). ولا زلت لا أعلم ما إذا كان "تيرنر" قد أثر مباشرةً على "تومبلي"، ولكن بالنظر على الأقل إلى أسلوبهما في التعبير عن الأفكار، فمن الممكن أن نتتبعهما إلى نفس المصدر. وإذا كان عليك أن تقول إن أعمالي قد تأثرت بهما، فلعل الأمر يعود إلى أن التكوين الفني يوجد دون فاصل، لكن أعمالي تخلو من الكثير من "الحماس".

"ليو شياو دونج" (LIU XIAODONG) (وُلد عام 1963) هو فنان يعيش في بكين